كائنات وحيوانات تكلمت في القرآن والسنة

٣

الهدهد يتكلم ويجادل

الطبعة الثانية

بقلم
محمود عدلى الشريف

تصميم الغلاف
شريف رضا

إخراج فنى
أمانى والى

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧- فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

---

(١) سورة النمل - الآيات ٢٠: ٢٨.

كانَ نبـيُّ الله سُـليمَان بن داود - عليهمَا السَّـلاَم - منَ الأنبياءِ الذيـنَ أخبرنَا الله تعالى عنهم فى القـرآن الكَريم، وتحدّث عنهمَا الرسولُ محمدٌ (ﷺ) فى السنَّة الشَّريفَة، وقدْ تميّز نبيُّ الله سليمَانُ (عليه السلام) عنْ غيرهِ منَ الأنبيَاءِ بمَا لهُ منَ الهباتِ الخاصَّة التى أعطاهَا اللـه تعالى إيَاه، وَالتى لـمْ يعطهَا لنبيٍّ منَ الأنبياءِ - عليهم الصّلاة والسّلام - منْ قَبْله ولا منْ بَعْده، فقدْ أعطاهُ الله تعالى مُلكًا عظيمًا وعجيبًا. وَمنْ بينِ تلكَ النعَم العظيمَة التى وهبهَا الله لنبيِّه سليمَانَ (عليه السلام):

١ - تسخير الجنّ والشياطين له:

وعَملهم بينَ يديْه مَا يشاءُ ومَا يُريد. ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[1].

٢ - انه كان يفهم كلام المخلوقات ولغاتهم:

ذاتَ يـوم مرَّ (عليه السلام) هوَ وجنودُه بينَ الطُّيورِ فسـمعَ بُلبلاً فى شجَرةٍ يُحركُ رأسَهُ ويَميلُ ذنبهُ.

---

(١) سورة سبأ - الآيات: ١٢: ١٣.

فقالَ لأصحَابه : أتدرونَ مَا يقولُ هذَا البلبلُ ؟

قالُوا : الله ونبيُّهُ أعْلم ؟

قالَ يقولُ : أكلتُ نصفَ تمرَةٍ فعلَى الدُّنيا السلام.

وصَاحت يمامة فأخبرهُم أنهَا تقولُ : ليتَ ذَا الخلْقِ لمْ يُخلقوا.

وصَاح طاووسٌ فقالَ : يقولُ كمَا تَدِينُ تُدَان.

وصاحَ هدهدٌ فقال : يقولُ اسْتغفروا الله يَا مُذنبينَ.

وصاحَ خطّاف - الطائرُ الذى يُسَمى عُصفور الجنّةِ - فقالَ : يقولُ : قدِّموا خيرًا تجدُوه.

وصاحَ طائرٌ آخرُ فقالَ : يقولُ كلُّ حيٍّ مَيِّت، وكلُّ جديد بَالٍ.

وصَاحت رخمةٌ - طائرٌ أبيضُ يشبهُ النسرَ إلاّ أنهُ مُبَقَّع اللونِ أبيض وأسوَد - فقال: يقولُ سبحَان ربِّى الأعْلى ملءَ سمائه وأرْضه.

وصاحَ قمَرى فأخبرهُم أنهُ يقولُ : سبحَان رَبِّىَ الأَعْلى.

وصَاحت حدَأةٌ فقالَ : الحدأةُ تقولُ : كلُّ شىءٍ هَالك إلاّ الله يَا غافلينَ.

وَالنسرُ يقولُ : يَا ابنَ آدم عشْ مَا شئتَ آخركَ الموتُ.

والعقابُ - طائرٌ منَ الجوارحِ يشبهُ الصّقر - يقولُ : فِى البعدِ عَنِ الناسِ أُنس.

والضفدعُ يقولُ : سبحَان ربىَّ القدُّوس[1].

---

(١) ارجع إلى تفسير الكشاف سورة النمل.

٣ - وتسخير الرياح:

فقـدْ كانت الرياحُ تقلـهُ وتنقلهُ إلى حيثُ يشـاءُ منَ الأَماكن، وتعلُو به وتهبطُ كمَا يشَاء. وإذَا سَافر أوْ أرادَ السّفر قعدَ عَلى سَريره، ويُوضعُ لهُ سـتمائة كُرْسـى، ثمّ يجئُ أشـرافُ الإنسِ حتّى يجلسُوا ممَّا يَليه، ثمّ يجئُ أشرافُ الجن حتَّى يجلسُوا ممَّا يَلى الإنس، فيَأذن للإنسِ ثمّ يَأذن للجنِّ عليه بعـد الإنس، فيكونونَ خلفَ الإنس، ثمَّ يأذن للشيَاطين بعدَ الجنِّ فيكونُونَ خلفَ الجنِّ، ثمَّ يرسلُ إلى الطيرِ فتظلهُم منْ فوقهم، ثمّ يرسلُ إلى الريَاح فتحملُهم وهوَ عَلى سَريره، والناسُ عَلى الكرَاسى، فتسيرُ بهم غدوهَا شهْر ورواحهَا شَهْر، فيسيرُ فى الغدَاة الواحدَة مَسـيرة شهْر رُخَاء حيثُ أصَاب، ليسَ بالعاصف وَلا باللَّين.. بلْ وسـطا بيـنَ ذلكَ، وقدْ كانَ يغـدُوا فى الصباحِ منْ «بيتِ المقدسِ» فيسـتريح وَقت الظهـرِ «بقرير» ثمّ يروحُ فيبيتُ ليلهُ فِى «كابل»[1].

٤ - تسخير الطير وخدمتها له وتنفيذها أوامره:

ذاتَ يوم وبينمَا نبىُّ الله سليمَان يسيرُ، وكانَ (عليه السلام) قد اختارَ منْ كلِّ نوعٍ منَ الطيرِ طائرًا قائدًا لهَا، فجعلهُ عَلى رأسِ تلكَ الطَّير، يكونُ فِى مُقدمتهَا ومسـئولٌ عنهَا أمامهُ، فإذَا أرادَ شـيئًا منْ الطيرِ

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ١ صـ ٢٨٩ باختصار.

أمر كبيرهم أن ينفذه هو وجماعته.

فبينمَا هوَ يسـيرُ فى فلاة مـنَ الأرض، إذ احتَاجَ إلى المَاء فجاءَ الهدهدُ فجعَل ينقرُ الأرضَ فأصابَ موضعَ الماء فجاءت الشياطينُ، فَسَلخت ذلكَ الموضعَ كمَا تسلخُ - الجلد - فأصابُوا الماءَ، فيَا سبحانَ الله أرَأيت الهدهدَ كيفَ يجـىءُ فينقرُ الأرضَ فيصيبُ منهَا موضعَ المـاء فيعرفُ مَا فى داخلهَا، وهوَ يجـىءُ إلى الفخِّ الذى ينصبهُ لهُ الصيـادُ، وهوَ يبصرهُ حتَّى يقعَ فى عُنقـه، حقًّا إذا جاءَ القدرُ عَمِىَ البصرُ وذهبَ الحذرُ ..

* * *

وذاتَ يوم وبينمَا نبىُّ الله سـليمَانَ يسـيرُ كعَادته، إذْ نزلَ أرضًا جديدةً، فسـأل جنودهُ منَ الإنسِ قائلاً : مـنْ يخبرنَا عنْ بُعْدِ المَاء هَا هنَا ؟

فقالَ الإنسُ : لا ندرى؟

فسأل الجنَّ فقالُوا : لا ندرى !!

فسألَ الشياطينَ فقالوا: لا ندرى !!

فغضبَ سليمانُ (عليه السلام) منْ عدم علْمهم بمَا فى الأرض منْ مَاء، ثمَّ قالَ : لنْ أتركَ المكانَ حتّى أعلمَ كَمْ بعْدَ مسـافة الماء هَاهنَا ؟! ولمْ ييأس ؟ بلْ إنهُ اسـتخدمَ المعجزةَ التـى حباهُ الله إيّاهَا، وهى تَسْـخير الجنِّ لهُ، فأصدرَ سليمانُ (عليه السلام) أمرهُ إلى شياطينِ الجنِّ

بحفْـر الآبار، وإخراج المَاء منْ بَاطنِ الأرض، فحفرُوا . . ولكنهمْ لمْ يجدُوا مـاءً، فأعادُوا الحفرَ فِى أكثرِ منْ جهَـة، فمَا خرجَ الماءُ فِى واحـدة منهَا، وعادُوا إلى سـليمانَ بخيبَة الأملِ.. فغضبَ سـليمَانُ (عليه السلام) غضبًا شديدًا لعجْزهم عَنْ جمْع الماء فقالتْ لهُ الشياطينُ: يَا رسولَ الله لا تغْضب، فإن يكنْ أحدٌ يعلمُ منّا بُعدَ مسَافة الماء عن هَا هنَا، فالهدهدُ يعلمهُ، وحـدهُ؛ لأنهُ يعلمُ ما تحتَ الأرضِ كالذى فوقهَا، ويعرفُ بفطْرته أماكـنَ الماء فِى طبقاتِ الأرْض، وهوَ الذى يستطيعُ أنْ يخبرنَا عنْ مَاء قريبٍ منْ سطْح الأرضِ هَا هنَا . .

فقالَ سليمانُ (عليه السلام) : عَلىّ بالهدهدِ ءَاتُونى بهِ فورًا . .

فخـرجَ الحاجبُ وجنودُهُ يبحثـونَ عن الهدهـدِ بينَهُم فِى كلِّ الجيشِ، فلمْ يجدوهُ، وعَاد الحاجبُ إلى نبىِّ الله سـليمان (عليه السلام)، وقالَ لهُ : إنَّ الهدهدَ ليسَ موجودًا يَا مولَاى . .

فغضبَ نبىُّ الله سـليمَان (عليه السلام)غضبًا شـديدًا، وخرجَ يتفقدُ الطيرَ فوجـدَ مكانَ الهدهد خاليًا، فقَالَ : مَالـىَ لاَ أرَى الهدهدَ أمْ كانَ مـنَ الغائبينَ، لأعذبنَّهُ عذابًا شـديدًا، أوْ لأذْبحَنَّـهُ، أوْ ليأتينىِّ بعذرٍ مُبينٍ[1]، وَدليلٍ قوىٍّ يبررُ بهِ سـببَ عصْيانهِ أمْرى، ومُخالفتهِ

---

(١) قال الله تعـالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة النمل - الآيات: ٢٠: ٢١].

تعليماتى . . ولمَ غابَ عنْ مَسيرى هذَا ؟

. . وكانَ عقابُ نبىِّ الله سـليمَان (عليه السلام) للطَّير أَنْ يَنتفَ ريشَهُ وَيشمِّسَـه، فلاَ يسـتطيعُ الطائرُ أنْ يطيرَ كمَا كانَ منْ قبلِ العقاب، فيعجزُ عَنِ الطيـرَان، ويكُون منْ هَوَام الأرض، وَيُلقى للنمل تأكلهُ. أوْ يذبحهُ فيكونُ ذلكَ عَذابه. كمَا كانَ سليمانُ (عليه السلام) يُعاقب منْ يخالفهُ منَ الشـياطين عقابًا صَارمًا، فيحبسـهُ فى قارورَةٍ منْ زجَاجٍ فلاَ يستطيعَ الفرَار منهَا طولَ حَيَاته[1].

وفى يوم منَ الأيام جىءَ لهُ بأحد الشياطين مُقيدًا بالأغلال، فلمَّا مَثلَ بينَ يدَيْه، سألَ سليمانُ (عليه السلام): مَا ذنبهُ ؟

فقالَ لهُ الجنودُ : إنهُ أضَاع لُؤلؤةً كبيرةً خرجَ بهَا منَ البحْر، ولمْ يُودعْهَا خزائنكَ يَا مَوْلاى . .

قالَ سليمانُ (عليه السلام) لهُ : أينَ خبّأتهَا أيهَا العفْريتُ ؟

قالَ العفريـت : لقدْ غُصتُ يَا مولاىَ مـعَ الغائصينَ فى البحْر، وخرجـتُ بلؤلـؤةٍ فى حجْم رأسِ الإنسَـان، مَا رَأى أحـدٌ مثلهَا فى جمالهَا، وروْعة بريقهَا، وظننتُ أننى بهذه اللؤلؤة سـأحْظَى برضَاك عَنـىِّ، ولكننى عندَ العودة فُوجئتُ بمَـارد جبّار قد انقضَّ علىَّ منَ السـماء، وخطفهَا منِّى، ثمَّ انطلقَ فـى الجوِّ نحوَ الجنوب، وَاخْتفى بينَ طيّاتِ السَّحَاب، فمَا استطعتُ اللّحاقَ به .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ١ صـ ٢٩٠.

قالَ سليمانُ (عليه السلام) : إذَا كانَ حقًّا مَا تقولُ فإنِّى سأعرضُ الجنَّ عليكَ لتخرجَهُ منْ بينهم .

قالَ العفريت : لوْ كانَ هذَا الجنىُّ منْ مملكتكَ يا مولاَى لمَا استطاعَ أنْ يفرَّ منىِّ، ولكنهُ جنىّ منْ نوعٍ آخرَ يعيشُ فى مملكةٍ أخْرى .

عندئذ أمرَ سليمانُ (عليه السلام) بسجنْهِ حتَّى يرَى مبلغَ صدقهِ، ودعَا وَزِيرهُ «آصف» وكانَ حكيمًا، وعالمًا.

فقالَ لهُ : ماذَا ترَى فى شأنِ هذَا العفريت ؟

فقالَ آصف : أرَى أنَّ الجنىَ صادقٌ فيمَا يقولُ.

قالَ سليمانُ (عليه السلام) : إذنْ فلمَاذا فعلَ الماردُ ذلك وأخذَ منهُ اللؤلؤةَ ؟

فقالَ الوزيرُ آصفُ لسليمَانَ (عليه السلام) : يا نبىَّ الله ؛ إنَّ العفاريت لاَ تهتمُّ بجمْع اللآلئِ لنفسهَا، ولابدَّ أنهَا مُسخرة لملك منَ الإنس، ولقدْ ساقَ الله إليكَ هذَا الحَادث ليذكركَ بمَا أخذتهُ عَلى نفسكَ، وهوَ الجهادُ فى سبيلِ الله بمَا وهبَ لكَ منَ القُوى، فالله لا يحب أن يشغلك جمْع النفائسِ عنِ الوفَاء بوعْدكَ، وَأرى أنْ تجدّ فى البحْث وراءَ هذَا الماردِ، حتَّى تهتدى إلى الملك الذى أرسلهُ وربمَا وجدتهُ منَ المجُوس الذينَ يتخذونَ لهُم أربابًا منْ دُونِ الله عَزَّ وجلَّ .

فأمرَ سليمانُ (عليه السلام) بإطلاقِ سرَاح الجنىِّ الذى صَاد اللؤلؤةَ، ومكثَ بعدَ ذلكَ سَاعة مُطرقًا يفكرُ فى كلامِ وَزيرهِ، ثمّ ذهبَ إلى

محْرابه فِى بيتِ المقدسِ حتَّى مُنتصَفِ اللَّيلِ.

وَفِى الصباحِ أمرَ أنْ يتهيّأ الجيشُ للزحفِ نحوَ الجنوبِ[1].

فجاءهُ الغرابُ فقالَ: لقدْ رأيتهُ يا نبىَّ الله.

فقالَ نبىُّ الله سليمَان (عليه السلام): مَاذَا رأيتَ ؟

قالَ الغـرابُ: الهدهدَ، رأيتـهُ ينطلقُ نحوَ الجنُـوبِ فِى صحبةِ هدهدٍ آخرَ منْ طُيورِ هَذه الأرْض . .

فقالَ «آصف بن برخيَا» وزيرُ سليمان (عليه السلام):

إنَّ هـذه أولُ مخَالفة تصـدرُ منْ طيرٍ ضَعيفٍ، لقـدْ كانَ مثالاً للطَّاعَة والولاَء، ولابدَّ أنَّ فِى الأمرِ سرًّا . .

قالَ سليمانُ (عليه السلام): أىُّ سرٍّ يخْتفِى ورَاء غيابِ الهدْهد ؟

قالَ آصفُ: أخشَـى أنْ قد اقتربنَا منْ وَادِى الجَان ، وَاسْـتعملتْ أَبَالستهُم السحرَ والخدَاع، فأضلتناَ عنْ مكانِ المَاء، وأَسَرت الهدهدَ حتّى لا يكتشفَ لنَا ينابيعَ المَاء . .

فقالَ نبىُّ الله سليمَان (عليه السلام): لقدْ توعدتُّهُ أنْ أذبحَهُ أوْ أعَذبهُ أَوْ يأتينىِّ بسُلطانٍ مُبينٍ . .

فقالَ آصف: سـيأتيكَ أمرُهُ إنْ شَـاءَ الله، وربمَا كانَ غيابهُ عنكَ بغيْرِ إرَادته . .

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير جـ ٣ صـ ٣٢٨، وتاريخ الطبرى جـ ١ صـ ٢٩٢.

بيـنَ هذه الأحـدَاث، كانَ الهدهـدُ يتجوّلُ فى الفضَـاء، ليعلمَ الأماكنَ المهمّة التـى بهَا ميَاه، وتركَ مكانهُ بينَ الطيور، بدون إذنٍ منْ سـليمَان (عليه السلام) عندما نظرَ إلى أوانى المـاء فوجدهَا فَارِغَة، فخافَ أَنْ يموتَ جيشُ سـيده منَ العطش، فتركَ مكانهُ وأسرعَ إلى الأمـام يجدُّ فى البحْث عن الماء، فوجدَ طبقات الأرض كلّهَا صُخور صَمّـاء، ليسَ بهَا عينٌ منْ عُيون المَـاء، وصَادفهُ فى طريقه هدهدٌ آخـرُ، مقبلٌ منَ الجنوب، فتعارَفَا وتطوّعَ هدهدُ الجنوبِ أَنْ يبحثَ معهُ، وَأرشدهُ إلى مكانٍ ينبُوع عَظيم . .

وانطلـق الهدهدانِ حتّى أَتيَا واديًا خَصيبا، ثمَّ وقفَا يسـتريحَانِ عَلى شجرةٍ فى بسـتانٍ كبيرٍ، مملُوء بالأشـجَار وَالورُود وَالأزَاهير، وَفى وسَـطه بُحيْرة واسـعَةٍ، يخـرجُ الماءُ إليهَا مـنْ عيونِ الأرض. فينسَـاب فى الجدَاول بينَ نبَات الأرض وأشجارهَا. . وبينمَا الهدهدُ فى هذه الجوْلة الواسعَة، نسىَ أنَّ سليمَان سيطلبهُ، فواصَل مَسيرَته، وفرحَ بمَا وجدَ، وَاستأذنَ صديقهُ هُدهد الجنوبِ أنْ يعودَ إلى سيّده ليخبرَهُ بمَا رَأى.

ولكـنّ هدهدَ الجنوبِ اسْـتوقفهُ وقالَ لهُ: أنتَ لمْ تَرَ إلاَّ شـيئًا يسيرًا، فتعَال معى لتشاهدَ عزًّا وملكًا كبيرًا خلفَ هذَا الوادى، حتّى إذَا عدتَّ إلى سَيّدكَ أخبرتهُ بكلِّ مَا رأيتَ، فيكونُ لخبركَ أثرٌ عظيمٌ فى نفسه . .

فتبعهُ ليعودَ إلى سـليمَانَ بخبرٍ جديدٍ يَسرّهُ بهِ، وَيدْخل بهِ عَلى مُلكه شيئًا جديدًا . .

وطارَ الهدهـدَان وتخطَّيا جبَلاً عَاليًا، ثـمّ هبطَا عَلى وادٍ أخضرَ بـهِ زرْع نَضير، وقُصُور فخمَة، ثـمّ اتجهَا نحوَ قصْرٍ بديعٍ فوقَ ربوَة عَاليـة، فَدهشَ هدهدَ سـليمَان (عليه السلام) بمَا رَأى مـنْ مناظرِ العزِّ والجَاه، ومظاهرِ الملكِ والسـلطان، فقالَ لصَاحبـه: عجبًا مَا رأيتُ مثلَ هذَا إلاَّ فى مُلك سليمَان (عليه السلام) فى الشّمَال.

قالَ هدهدُ الجنوب: ومَا ملكُ سليمَان (عليه السلام) هذَا بجانب مُلك «بلقيس» فى الجنوب، اهبطْ مَعى منْ هذه الفتحَة لتشـاهدَ هَذه المملكة الرَّائعة وقومَهَا وهمْ يعبدونَ الشمْسَ . .

هبطَ الهدهدانِ، وَرَأى هدهدُ سليمَان (عليه السلام) القومَ يسجدُونَ للشمْس منْ دونِ الله، فراعهُ ذلكَ وأفزعهُ وأغضبَهُ.

فقالَ أتعجَّبُ منْ هذَا ! ! أتعجّبُ منْ كثرة هؤلاء القوم وَتَمْلكهم امرَأةٌ وهُم رِجَال، وَأُوتيَتْ منْ كلِّ شىءٍ ولهَا عرشٌ عَظيمٌ، وَأعجبُ مَا رَأيتُ عندَكُم ! ! أنهُم يعبدونَ الشـمسَ، وَكفرُوا بالله الذى خَلقهم، ووهبَ لهُم كلَّ شىءٍ، وَأعْطَاهُم منَ النعم مَا لاَ يُعَدّ وَلاَ يُحْصَى ؟

ثـمّ ذهبَ بهِ هدهدُ الجنوبِ إلىَ قصْرِ «بلقيس» وأرآهُ عرشَـهَا العَظيم، ثمّ قالَ لهُ: انظرُ إلى هذه اللؤلؤة الكبيرة، هلْ عندَ سيّدكَ مثلهَا ؟

قالَ هدهدُ سليمَان (عليه السلام): كيفَ وصَلت إليهَا هذه اللُّؤلؤةُ ؟

قالَ هدهدُ الجنوب: جاءَ بهَا عفريتٌ منَ الجنِّ منذُ شهر.

قالَ هدهـدُ سـليمَانَ (عليه السلام): إذنْ هذه لؤلؤةُ سـليمَان التى خطفهَا عفريتكُم منْ يدِ الجنىِّ الذى صادهَا، الويلُ لكمْ منْ رسُـول الله سليمَان ! !

قالَ لهُ هدهدُ بلقيس: ومَنْ رسُول الله سليمَان (عليه السلام) ؟

فقالَ هدهدُ سـليمَان (عليه السلام): بعثَ الله رجلاً يقالُ لهُ سليمَان رسُولاً، وسخر لهُ الريحَ والجنَّ والإنسَ والطَّيرَ .

قالَ هدهدُ بلقيس: إنَّ هذَا لعَجيب ! !

فقالَ الهدهدُ : ولمَا العجبُ . . فإنَّ لهُ قُوةً لا تُغلب .

قـالَ هدهدُ الجنـوب: ليسَ الأمرُ كمَا تظنُّ فـ «بلقيس» تملكُ الجنَّ كمَا تملكُ الإنسَ، وأخشَـى عَلى مَلِكَكَ أنْ يغترَ بقوته، ويقدمَ عَلى مُحَاربتها، فيذُوق ذلّ الأسرِ والهوانِ عَلى يدِ جنودهَا.

فتركَ هدهدُ سليمان (عليه السلام) هدهدَ بلقيسَ وعَاد فورًا، بعدَ أنْ تذكّرَ نبىَّ الله سليمان (عليه السلام) وأنهُ سيطلبهُ.

فلمَّا أتَى الهدهدُ تقدّمَ فى ذلةٍ وخُضوع إلى الملك سليمَان (عليه السلام) فوجدهُ سَـاخطا عليه، وخافَ عَلى نفسه سُوءَ العَاقبة. فلمَّا قربَ منْ سليمَان (عليه السلام) أرْخى ذنبهُ وجناحيّه يجرُّهُم عَلى الأرضِ تواضعًا لهُ، فلمّا دنَا منهُ أخذَ برأسه فمدّهُ إليه، فقالَ لهُ الهدهدُ: يَا نبىَّ الله اذكرْ

وقوفكَ بينَ يدى الله، فارتعدَ سليمَانُ (عليه السلام) وعفَا عنهُ.

ثمّ سـألهُ: أينَ كنـتَ أيهَا الهدهـدُ؟ لمَاذا غبْتَ عنْ مَسـيرى؟ ومَا سببُ مُخالفتكَ أمرى؛ وترْككَ مكانكَ بدُونِ إذنى ؟

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النمل - الآية ٢٢].

قالَ لهُ سـليمَانُ (عليه السلام): ومَا هوَ الخبـرُ اليقينُ الذى رأيتَهُ فِى سَبَأ، وجَعلكَ تتغيبُ عَنْ مَسيرى ؟

فقـالَ الهدهدُ: بينمَا أتجـوّلُ فـى الأرض؛ لأرَى وأعرفَ المزيدَ ممَّـا هوَ مخْبوء تحتَ الأرضِ منْ كنوزٍ ومَـاءٍ وَغيره، أخذنى القدرُ إلىَ أرْض سَـبَأ، فرأيتُ جمالهَا ونضْرتهَا، ورأيـتُ فيهَا قصرًا تحيطهُ الأشـجارُ، ورأيتُ امرأةً هِىَ المَلكة عَليْهم تُسمى «بلقيس»، مُلِّكت مَدَائن اليمن. وجدتُّهَا وقومهَا يسـجدونَ للشمْس، ويعبدونهَا بدلاً منَ الله سبحَانهُ وتعَالى.

كمَـا أخذنى إلى حديقةِ قصْرهَا هُدهدٌ مـنْ مَمْلكتهَا، فتكلّمتُ معـهُ فعلمتُ منهُ أنهُ لا يعرفكَ يَا سَـيدى، ولا يعلـمُ عنكَ ولاَ عَنْ نبوتكَ ولا ملككَ شيئًا.

فابتسـمَ سليمانُ (عليه السلام) ثمّ قالَ لهُ: قد اعْتللتَ، وجئتَ بشىءٍ يبررُ لِى غيابكَ عنىِّ، فسننظرُ أصدقتَ أَمْ كنتَ منَ الكاذبينَ.

خرجَ نبيُّ الله سـليمَانَ (عليه السلام) وَفِى يده رسَـالة قدْ كتبهَا إلى «بلقيس» مَلكَة اليمَن.

وَقـالَ للهدهد : اذهبْ بكتابى هذَا فألقـه إليهمْ، ثمّ كنْ بعيدًا وانتظـرْ مَاذَا يرجعُونَ. فذهبَ يطيرُ بالكتـاب وأخذَ يتفقدُ مكانهَا، فوجدهَا جالسـةً عَلى عرشهَا، وأمامهَا حاشـيتُهَا ووزراؤُهَا، فأسقطَ الخطابَ فِى حجْرهَا واختفَى وراءَ سـتارِ النافذة، ونادتْ فِى قومهَا فقالتْ لهم :

يأيهَا المَلأُ إنِّى أُلقى إلىّ كتابٌ كريمٌ، إنهُ منْ سليمَان، وإنهُ بسْم الله الرحْمن الرَّحيم، ألاَّ تعلُوا علىّ وَأْتُونى مسْلمينَ، ولمْ أكنْ لأقطعَ أمرًا حتَّى تشهدُون.

قالُـوا : نحنُ أُولُوا قوةٍ وأُولُوا بأسٍ شـديدٍ، وَالأمرُ إليكِ فانظُرِى ماذَا تأمرينَ ؟

قالتْ : إنِّى أخشَـى أنْ نحاربَهُ ونمتنـعَ عليْه، فيقصدنَا بجنُوده ويهلكنَا بمنْ معهُ، ويكُونُ الهلاكُ والدمارُ منْ دونَ غيرنَا؛ ثمّ عدّلت إلى المصَالحة والمهَادنة والمسَالمَة فقالتْ :

إنىِّ مُرْسـلَةٌ إليهمْ بهديّة، فإنْ قبلهَا فهذَا ملكٌ منْ ملُوك الدنيَا، وأَنَأ أعزُّ منهُ وأقوَى فسَأقاتلهُ، وإنْ لمْ يقبلهَا فهوَ غيرُ ذلكَ .

ثمّ أرسَلت رسلهَا بالهديَة إلى سليمَانَ (عليه السلام).

فلمَّا وصلَ رسلُ مَلكة اليمنِ بَلقيس إلىَ سليمَان بالهديَة، استأذنُوا

أنْ يدخلُوا عليهِ بهَا، فأذنَ لهمْ حرّاسُــهُ بالدخُول إليه.. وقدّمُوا بينَ يديهِ صندوقًا مملوءً بالذهبِ والأحجَارِ الكريمَةِ .

فغضبَ نبيُّ الله سليمَانُ (عليه السلام) وقالَ لهُم : أتمدُّونني بمَالٍ فمَا آتانيَ اللهُ خيرٌ ممَّا آتاكُم . . بلْ أنتُم بهديّتكُم تفرحُونَ .

وأمرَ سليمانُ الشياطينَ فموَّهُوا لهمْ ألفَ قصرٍ منْ ذهبٍ وفضَّة، فلمَّا رأَى رسلُها ذلكَ قالُوا : مَا يصنعُ هذَا بهَديتنَا ؟ ثمّ قالَ سليمانُ (عليه السلام) لكبيرهــمْ : ارجعْ إليهم فلنأتينَّهُمْ بجنُــود لا قِبَل لهُم بهَا، ولنخْرجنّهم منهَا أذلــةً وهُم صَاغرونَ. فبعثتْ إليهِ بلقيسُ بالخرزَة منَ اللؤلؤِ التى أخذهَا شيطانُ بلقيس منْ شيطَان سليمَان، وطلبتْ منَ الجندِ أنْ يطلبُوا منْ سليمان (عليه السلام) أنْ يثقبهَا. فلمَّا جاءَ الرسُل إلى سليمانَ قدّموا لهُ الخرزةَ .

فقالَ سليمانُ : مَا هذهِ الخرزةُ ؟

قالُوا : بعثتْ إليكَ بلقيسُ بخَرزةٍ غير مَثقوبَة .

فقالتْ : اثقبْ هَذه ؟

فسألَ سليمانُ الإنسَ فلمْ يكنْ عندهم علمُ ثقبهَا ؟

ثمّ سألَ الجنَّ فلمْ يكنْ عندَهم علْمُ ذلكَ ؟

فســألَ الشياطينَ فقالُوا : ترسلُ إلى الأَرَضَة - دُوَيْبَّة بيضَاء تشبه

النملةَ منَ الحشرات[1].

فجاءت (السُّوسة) فأخذَتْ شعرَة فى فمهَا فأَدْخلتهَا فيهَا فثقبتهَا بعدَ حينٍ وأرسلهَا معَ الرُّسُل مَثقوبَة .

فلمَّا رجعت الرسلُ إلى بلقيس بمَا قالَ سليمَانُ (عليه السلام) قالتْ: واللــه قد عرفتُ ما هذَا بملك، ومَا لنَا بــه منْ طَاقة، ومَا نصنعُ بمكَاثرته شــيئًا، وبعثتْ إليه أنىِّ قادمَة عليــكَ بملُوك قومى حتّى أنظرَ مَا أمركَ، ومَا تدْعُو إليه منْ دينكَ.

وَخرجَــت فزعَة فــى أوّل النهارِ معَ قومهَا وهــىَ خاضعَة ذليلةً مُعظِّمَة لسليمَانَ ناويَةً مُتَابعته فى الإسْلام، فلمّا أقبلتْ بلقيسُ إلى ســليمَانَ ومعهَا ثلاثمائة قَيْل - والقَيْلُ القائدُ - واثنَا عشــرَ قيْلاً، معَ كلِّ قيْلٍ عشرة آلاف جُندى فسَارُوا إليه فى ألوفٍ كَثيرة.

أقبلَ ســليمان عَلى جُنوده فقالَ : أيكُم يأتينى بعرشــهَا قبلَ أنْ يأتُونى مُسلمينَ ؟

قــالَ عفريتٌ مــنَ الجنِّ : أنَا آتيكَ به قبــلَ أنْ تقومَ منْ مقامكَ الذى أنتَ فيه إلى الحينِ الذى تقومُ إلى غذائكَ .

قالَ سليمانُ (عليه السلام): منْ يأتينى به قبلَ ذلكَ ؟

قالَ وزيرُ ســليمان آصف بن برخيا وكانَ عندهُ علمٌ منَ الكتابِ:

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ١ صـ ٢٩١.

أنَا آتيكَ بهِ قبلَ أنْ يرتدَّ إليكَ طرْفكَ .

فنظرَ إليه سـليمانُ (عليه السلام) فلمّا قطعَ كلامهُ، ردّ سليمانُ بصَرهُ فَرَأى عرشها قدْ خرجَ ونبعَ منْ تحتِ كرسيِّه، فلمَّا رآهُ مستقرًّا عندهُ، قالَ : هذَا منْ فضْل رَبِّى ليبلوَنِى أأشكرُ أمْ أكفرْ، إذْ أتانِى بهِ قبلَ أنْ يرتدَّ إلىّ طرْفِـى، وجعلَ منْ تحتِ يدِى منْ هو أقدرُ على المجِىء به منِّى .

فوضعُوا لهَا عرشـهَا، فلمّا جاءتْ قعدتْ إلى سـليمَان (عليه السلام) فقالَ لهَا : أهكذَا عرشُك . . فنظرَتْ إليهِ . . فقالتْ . . كأنهُ هُوَ ! !

ثـمَّ قالتْ : لقدْ تركتهُ فِى حصُونى، وتركـتُ الجنودَ مُحيطة به، فكيـفَ جِىء بهذَا يَا سـليمَان ؟ وإنِّى أريدُ أنْ أسـألكَ عنْ شـىءٍ فأخبرْنيه ؟ قال : سَلِى

قالتْ : أخبرْنى عنْ مَاءٍ روَاء لاَ منْ سمَاء ولا منْ أَرضٍ ؟

وكانَ إذا جَاء إلى سـليمانَ (عليه السلام) شـىءٌ لا يعلمهُ بدأ فسـألَ الإنـسَ عنـهُ فـإنْ كانَ عندَ الإنسِ فيـهِ علمٌ أخبروهُ . . وإلاَّ سـألَ الجنَّ فإن لمْ يكنْ عندَ الجنِّ علمٌ بهِ . . سـألَ الشـياطينَ فقالتْ لهُ الشـياطينُ : مَا أهونَ هذَا يا رسـولَ الله مُر الخيـلَ فلتجْرِ ثمَّ تملأُ الآنيةَ منْ عَرَقهَا.

فقالَ لهَا سليمانُ (عليه السلام) : الماءُ هوَ عَرَقُ الخيلِ .

قالتْ : صَدقت . .

وقالَ سـليمانُ (عليه السلام) للشـياطين : ابنُوا لـي صرحًا تدخلُ علىّ فيـه بَلقيس، فبنُوا لهُ صرحًا منْ قوارِيرَ أخْضر، وجعلوا لهُ طَوابق مِنْ قواريرَ كأنهُ المَاء، ثمَّ قالُوا لسليمَانَ (عليه السلام) : أدخلِ الصَّرْح .

فألقَى لسـليمَان (عليه السلام) كرسـيًّا فى أقصَى الصَّـرْح، فلمَّا دخلهُ ورأى مَا رَأى أتىَ الكرسىَّ فقعدَ عليه ثم قالَ: ادخلُوا عَلىَ بلقيسَ. .

فقالُوا لهَا : ادخُلى الصَّرح فلمَّا ذهبتْ تدخلهُ رأتْ صورةَ السمك، ومَا يكونُ فى الماء منَ الدوابِّ فحسـبتهُ لجّة منَ الماء، وكشـفتْ عَنْ سـاقيْهَا لتدخلَ . فلمَّا رآهَا سـليمانُ صَرَفَ بصرَه عنهَا وناداهَا : ادخُلى إنهُ صرحٌ ممرّدٌ منْ قَوَارِيرَ .

فألقـتْ ثوبهَا وقالتْ : ربِّ إنىِّ ظلمتُ نفْسـى، وأسـلمْتُ معَ سليمانَ لله ربِّ العَالمينَ .

فقالَ جنودُ سـليمانَ : نعْمَ الطائرُ الهدهـد ، فقدْ تعبَ واجتهدَ حتَّى أسلمَ عَلى يدى سليمَان (عليه السلام) هذَا الجمُّ الغفيرُ منَ الناس، وقدْ جعلهُ الله تعالىَ سـببًا أنْ يأخذَ سليمانُ (عليه السلام) عرشَ بلقيسَ ومملكتهَا، فسبحَانَ الله الذى أحسنَ كلَّ شىءٍ خلْقَهُ ثمَّ هَدَى .

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٤٣٦٣
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7763-8

١٦ / ٢٠١٣ / ٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)